

مالك بن نبي ودور الثقافة في عملية التغيير الاجتماعي لإعادة بناء المجتمع الإسلامي

Malik bin Nabi and the role of culture in the process of social change to rebuild the Islamic community

د. زهية شويشي*، جامعة سطيف -2-، الجزائر.

tahahatemtaha39@gmail.com

تاريخ التسليم: (2020/03/24)، تاريخ المراجعة: (2020/04/30)، تاريخ القبول: (2020/07/21)

Abstract :

ملخص :

This study comes in the context of Malik Bin Nabi's interest in cultural paradigm and considering it the basis of every civilizational transformation of any society. The reason behind this interest is the intellectual and political attacks that Islamic societies have been subjected to, and civilizational conflicts with the West that have cost them a lot.

Malik bin Nabi, also, considered the movement of the civilizational path of any society is an expression of its cultural action, because the social reality is a representation of a specific culture in the reality of man within his society. In this way, he emphasized that the culture model is the necessary entry point to the process of social change and reconstruction, because every interaction of human efforts with the knowledge, sciences and ideas contained in their society will later constitute a social and cultural value in that society, while emphasizing that the process of social change requires consideration of the cultural milieu In which the individual moves.

Keywords: Culture, change, society, person, Islamic society.

تأتي هذه الدراسة في سياق اهتمام مالك بن نبي وعنايته بالبراديغم أو النموذج الثقافي واعتباره أصل وأساس كل تحول حضاري لأي مجتمع. والسبب وراء ذلك الاهتمام ما تعرضت وتعرض له المجتمعات الإسلامية من هجمات فكرية وسياسية، وصراعات حضارية مع الغرب، كلفتها الكثير، كما اعتبر مالك بن نبي حركة المسار الحضاري لأي مجتمع في الأساس تعبير عن فعلها الثقافي، لأن الواقع الاجتماعي هو تمثيل لثقافة معينة في واقع الإنسان داخل مجتمعه. وبذلك أكد أن نموذج الثقافة هو المنخل الضروري لعملية التغيير الاجتماعي وإعادة البناء، لأن كل تفاعل لجهود الإنسان مع ما يحتويه مجتمعه من معارف وعلوم وأفكار والتي تمثل في مجملها ثقافة ذلك المجتمع الحاملة لخصائصه ومبادئه ومميزاته سيكون فيما بعد قيمة اجتماعية وحضارية في ذلك المجتمع، مع تأكيده على أن عملية التغيير الاجتماعي تستوجب مراعاة الوسط الثقافي الذي يتحرك فيه الفرد.

الكلمات المفتاحية: الثقافة، التغيير، المجتمع،

الإنسان، المجتمع الإسلامي.

* المؤلف المراسل: د. زهية شويشي، الإيميل: tahahatemtaha39@gmail.com

مقدمة:

لقد كان المجتمع الإسلامي وما زال محط أنظار العديد من الدول الاستعمارية، الشيء الذي جعله عرضة للغزو الاستعماري العسكري، غير أن ما شهدته المستعمر من مقاومة مسلحة في هذا المجتمع حال دون تحقيق أهدافه، لكن ذلك لم يحده عن التفكير في طرق أخرى تسمح له بالتوغل من جديد في هذا المجتمع، خاصة بعد إدراكه لأهمية الثقافة وما تمثله في حياة المجتمع، إذ تعد ثابتاً من الثوابت الأساسية لأي مجتمع، والوعاء الحامل لكل قيمه ومبادئه ومعتقداته، حيث سعى الغرب بعد انتهاء المرحلة الاستعمارية إلى تخريب هذه الثقافة منتهاجاً سبلاً شتى لتحقيق غايته في تعطيل المجتمع الإسلامي عن مواكبة الركب الحضاري وتحقيق مزيداً من التطور والتقدم. مما صعب من مهمة المجتمع الإسلامي في النهوض بثقافته والمحافظة عليها وحفظها من الفساد والزوال والسير وفقها من أجل تحقيق التغير الاجتماعي الذي يكفل له التقدم والتطور، وبالتالي استعادة مكانته التاريخية، خاصة وأن أكبر التحديات التي يواجهها تتمثل في الهجمة الثقافية التي تستهدف محو قيمة وتذويب شخصيته (سعيد، 1985، ص55)

في هذا السياق كان المجتمع الإسلامي محور اهتمام مالك بن نبي، إذ سعى إلى تحديد مشكلاته وتناولها بالدراسة والتحليل بغية إيجاد الحلول اللازمة للخروج به من أزماره. ولما كانت عملية التغيير الاجتماعي تتطلب الإحاطة بطبيعة الوضع الذي يعيشه المجتمع بالعمل التغيير، سنعرض وضعية الثقافة في المجتمع الإسلامي والدور الذي يجب أن تلعبه في المسار لدراسة الحضارة وكيفية تسخيرها لتحقيق التغيير الاجتماعي المرغوب.

ضمن هذا السياق يعد مالك بن نبي من المفكرين القلائل الذين أدركوا واقع مجتمعاتهم والمجتمعات الإسلامية، ليشرح أوضاعها، محاولاً النهوض به ووصف العلاج المناسب تطلعا لمستقبل أفضل. وجاءت هذه المحاولة لتبحث موقف مالك بن نبي من مشكلة الثقافة في المجتمع الإسلامي.

1. وضعية الثقافة في المجتمع الإسلامي :

إن وضعية الثقافة في المجتمع الإسلامي توحى جملة من المشكلات التي انعكست سلباً على المجتمع، فبدأ ذلك في السلبية التي صبغت الحياة الثقافية متمثلة في الركود الذي شمل أفراد هذا المجتمع. وينبغي أن يرى أن المجتمع قد مر بثلاث مراحل، أو بصورة أكثر قرباً بمرحلتين ويعيش الثالثة، وهذه المراحل الثلاث يمكن تمثيلها في ثلاث أجيال متعاقبة ومتمايزة. (برغوث، 1993، ص110)

1.1 جيل الركود:

وهو جيل ما بعد الموحدين، جيل خرج من الحضارة، وميزته الطمأنينة والاستقرار إذ أنه لا يشعر بوجود المشكلات من حوله برغم وجودها، لأنه يعيش في حالة مادية ونفسية مترسبة عن خروجه من الحضارة، وهو بذلك إنسان مريض يورث الجيل الذي بعده جرائم مرضية في صورة موارث اجتماعي،

وطرائق تقليدية مسؤولة عن جو ما بعد الحضارة، الشيء الذي يعبر عن الإفلاس الخلقي والاجتماعي والفلسفي والسياسي.

يورث الجيل الذي بعده جراثيم مرضية في صورة مواريث اجتماعية، وطرائف تقليدية مسؤولة عن جو ما بعد الحضارة الذي يعبر عن الإفلاس الخلقي والاجتماعي والفلسفي والسياسي ..."

2.1 جيل الحيرة:

وهو جيل القلق والمعاناة والاضطراب، يعيش مشكلات تكاثرت من حوله، وجعلته يشعر بها غير أنه لم يستطيع تصنيفها مادام لم يحاول الحركة، وذلك جعله يشعر بالقلق، لأنه يعيش في دوامة ولا يعرف الاستقرار.

3.1 جيل الحركة:

وهو جيل يشعر بوجود المشكلات ويعيشها ويواجهها، ويعمل على تصنيفها، وهو بذلك تجاوز الجيلين السابقين. ونوعية المشكلات التي يواجهها هذا الجيل هي التي تحدد طبيعة المجابهة، ووسائلها. وقد اهتم (بن نبي) بالمجابهة، غير أنه أولى اهتماماً أكبر للبحث عن منشأ هذه المشكلات، وقد أرجع السبب في تواجدها في اللهو قد أرجع السبب في تواجدها في المجتمع الإسلامي إلى أحد الأسباب التالية:

- الخلل في عالم الأشخاص والذي يبدو على مستوى الأفراد المتمثلين في فئتين متعارضتين، فئة تنبي، وفئة تهدم.
- الخلل في عالم الأفكار، وممره إلى الصراع حول المفاهيم وتحديد هو إلى انعدام الترابط بين الفكرة والطريقة، وذلك يعني وجود خلل في المنهج المنطقي، مما يؤدي بالضرورة إلى تكبيل الجهود بنوع من الأفكار القديمة التي يعكسها التراث الثقافي غير المصفى.
- الخلل في عالم الأشياء ويبدو في فقدان الأفكار للتجانس مع بعضها، بحيث تصبح غير مؤدية للأغراض التي صنعت لأجلها.
- الخلل في علاقات العوالم الثلاثة ببعضها، وهذا مفاده أن للإنسان صلة بعالم الأفكار وعالم الأشياء، وهي صلة تتحدد بعالم الثقافة، وهذا معناه أن الثقافة كمفهوم دقيق وتطبيقي في الواقع يمكننا جعله صورة ذهنية واضحة في الفهم والتطبيق العملي، أي أنها مهمة تتحدد بتوجيه الطاقات الفردية لتحقيق بناء الفرد بالنسبة لمصلحة المجتمع. (القرشي، 1989، ص133).

2 . المظاهر السلبية في ثقافة المجتمع الإسلامي:

لقد أكد مالك بن نبي ضرورة الإحاطة بالسلمات المرضية السائدة في ثقافة المجتمع الإسلامي، وذلك يعني بصورة أو بأخرى ضرورة الحديث عن الواقع الاجتماعي، لأن طابع الشخصية ذو علاقة وثيقة

بنمط الثقافة السائدة في المجتمع، الشيء الذي يجعل الشخصية مرآة عاكسة لصورة الثقافة في المجتمع " لأنها تتشكل بأساليب الحياة في المجتمع وترتبط به" وثقافة المجتمع الإسلامي لها بالتأكيد انعكاسات على شخصية الفرد المسلم فيه، وهي تتسم بجملة من المظاهر السلبية، حسب بن نبي والتي من بينها:

2.2 اللفظة:

إن أي دور للمجتمع لا يحسب برصيد الكلام، بل بالثقل الفكري، والملاحظ على ثقافة مجتمع العالم الثالث على العموم، وثقافة المجتمع الإسلامي على الخصوص هو أنها تتسم بالطابع الأدبي والكلامي، وأنه هناك فجوة بين الكلام والعمل، حيث تحولت اللغة إلى أداة وهمية فانعكس مردودها السلبي على نشاط المجتمع وأعماله. وهذا أمر يستلزم التمييز بين الكلمة الفعالة والثروة وإدراك أن كثرة الثروة تفقد الإنسان فعاليته. (بدوي، 1987، ص 63).

والحقيقة التي عانت وتعاني منها الثقافة في المجتمع الإسلامي تكمن في أن أفرادها إذا ما تكلموا شعروا بأنهم قد أدوا واجبهم على الرغم أن ما قالوه من كلام لا يمت للواقع بصله، وذلك من شأنه أن يفقد العمل جديته، وأن يجهض قوى التغيير ويفقد الفكر معنى الفعالية.

وداء اللفظة صار أكثر سلبية في المجتمع الإسلامي، حيث اقتصر أفرادها على تلقين الناس مفاهيم وتعايير دون أن تتحول مدلولاتها إلى أعمال وسلوكيات. يري (بن نبي) أن مركب النقص الذي شعر به الإنسان المسلم أمام الثقافة الغربية جعله يلجأ إلى الفخر والمديح بغية الدفاع عن شخصيته.

ونزوع الإنسان إلى الفخر والمديح جعله يعتقد عن يقين بأنه قد امتلك الأشياء التي امتلكتها الثقافة الغربية، فاكتمى بالأمجاد والحديث عن ماضيه، وهذا من شأنه إعاقة الحركة في المجتمع الإسلامي، وبالتالي عرقلت عملية التغيير فيه " وهكذا تتحول نزعة الفخر إلى حالة من الكف عن التكامل الخلفي، فنتج بالتالي كفا عن تعديل شرائط الحياة ما نتج عنه تجميد للفكر. في حين أن هذا الفعل من شأنه إعاقة الفرد والتغيير في المجتمع حيث تصير الثقافة مجرد رصيد متوارث، يلجأ الفرد المسلم إليه للتعويض عن الواقع تبريرا للضعف والانحطاط. (الجندي، 1965، ص 60).

3.2 الجدالية والتبرير:

يؤكد (بن نبي) أن ثقافة مجتمع ما بعد الموحدين، قد تميز بالميل نحو الجدال في المجالين الأدبي والعلمي حيث «لم يكن المتجادلون يبحثون عن حقائق، وإنما عن براهين، ولم يكن المجادل ليستمع إلى محدثه، بل كان يغرقه في طوفان من الكلام وقد ظلت هذه النزعة حسب (بن نبي) سائدة في ثقافتنا بشكل كبير عطل تحويل العمل الثقافي إلى عمل مخطط وتصميم يبيلور مذهباً في التغيير الاجتماعي.

لقد اكتفى مجتمع ما بعد الموحدين في رأي (ابن نبي) بالأشياء على حساب الأفكار، حيث لم تعد لديه الفكرة وسيلة للنشاط الاجتماعي " وعندما يدور عالم الثقافة في فلك الأشياء تصبح تلك الأشياء تحتل مكانا في سلم القيم وتتحوّل الأحكام في انزلاقه نحو الشيئية، أي نحو تقييم كل الأمور بمقياس من الأشياء".

كما أن نزعة الشيئية تجعل الإنسان ينظر إلى الوقائع والأحداث مجزأة وذلك ينعكس بشكل سلبي في حياة المجتمع وأنشطته المتعددة، فيفقد الفرد والمجتمع إرادة التواصل.

3. المشروع الثقافي في المجتمع الإسلامي:

إن عملية وضع أو تصميم أي مشروع ثقافي في أي مجتمع تتطلب الإحاطة بالجو العام والظروف السائدة في المجتمع، بما يسمح بتحديد الوضعية التي توجد عليها الثقافة. والوضعية التي كان عليها المجتمع الإسلامي خاصة بعد تحرره من السيطرة الاستعمارية، كانت تستلزم الكثير من العمل على توفير الظروف اللازمة لعملية الانطلاق من جديد، بغية تحقيق عملية تغيير الوضعية المتخلفة التي كان المجتمع الإسلامي يعيشها من جراء ما قام به الاستعمار من أعمال القضاء على سمات ومميزات الشخصية الإسلامية وفق ما يخدم المصالح الاستعمارية.

وقد تصور مالك بن نبي إمكانية الخروج مما يعيشه المجتمع الإسلامي من أزمات ومشكلات في تصميم هذا الأخير أي المجتمع الإسلامي، لمشروع ثقافي جديد بمقتضى معطيات ومتطلبات الوضعية الحضارية الجديدة التي تقتضي مسايرة ركب التغيير والتجديد. وهذا يتطلب إعداد مشروع ثقافي للتخلص من الوضعية المتخلفة، بالأخذ في الاعتبار مشكلة التخلف وأسبابها والبحث عما يتطلبه الإقلاع الحضاري ومشروع التغيير الاجتماعي.

وذلك في إطار ثقافة فعالة، مما يوجب علينا عند طرحنا لمشكلة الثقافة في مجتمع متخلف أن نعمل على مراعاة الظروف العامة للمجتمع لأن الثقافة محددة بواسطة كل معطيات التخلف، وبواسطة المعطى البشري أولا وبالذات ثانيا.

وثقافة العالم الثالث، والذي يمثل المجتمع الإسلامي جزء هاما منه، كما هي موجودة لا تشكل نظاما متناسقا، بل هي عبارة عن شتات أفكار وممارسات اجتماعية تكاد تكون متضادة في إطار صراع ثقافي. وإعداد مشروع ثقافي يتطلب حسب (بن نبي) أساسيين: تصميمًا ثقافيًا، وثورة ثقافية. (الزغبي، 1984، ص88).

1.3 التصميم الثقافي:

يحدد مالك ابن نبي منذ البداية كما سبقت الإشارة أن الثقافة لا تستورد ولا تصدر لأنها خليفة بيئة فيزيائية واجتماعية في أصلها، مترابطة وغير منظمة، وفعل الثقة بالدرجة الأولى هو إبداع وتتسق وتكمل في هذه البيئة ضمن إطار موحد، وذلك يعني أن خصوصية الثقافة تجعل من غير الممكن استعارة الحلول من مجتمع آخر لحل مشكلاتها، لأنه لكل مجتمع قيمه ومبادئه وحاجاته التي تعطي نوع

النشاط داخل المجتمع وطبيعة شركته ودرجتها. وإذا كان التغير الاجتماعي في المجتمع المتخلف يتطلب إجراء تصفية للموروث الثقافي من العادات والأفكار والتقاليد التي لم تعد هناك فائدة منها في إمكان الربط بين المستحدث الثقافي والجانب الإيجابي من الموروث بحسب ما تقتاضيه حاجات المجتمع وما يخدم الحركة التغييرية الجديدة، فإن ذلك يجعل من عملية التصميم الثقافي عملية أوسع وأكثر شمولاً حيث تصبح لا تخص طبقة دون أخرى، بل تخص مجتمعنا بما فيه المتعلم والصبي الذي لم يبلغ مرحلة التعلم، إنها تشمل المجتمع كله، ويتعبّر آخر فإن ذلك يجعل عملية تصميم مشروع ثقافي عملية تشمل البيئة الاجتماعية بأكملها بكل ما تتضمنه من أشكال الحياة والنشاطات اليومية، وهذا يستلزم أن تكون الثقافة في مستوى يسمح بإحداث التغير الاجتماعي ابتداء من الأفراد الجدد في الحياة الاجتماعية وفي هذا المستوى الثانوي تقوم مشكلة الثقافة على تحديد يشمل أساساً الناحية البيولوجية والتربوية. وهذا يقوم أساساً على ضرورة إقناع المجتمع بالعمل أولاً على تثقيف الإنسان لأن ذلك أهم من أي شيء آخر. وحتى يكون المجتمع نفسه "مدرسة يتاح فيها لكل فرد أن يتعلم ويعلم، ومختبراً يسمح فيه بإعداد القيم الثقافية المتطابقة مع ضرورات النمو" لأن الجو العام الذي يحيط بالفرد في مجتمعه هو الذي يجعل الفرد يندمج في الحياة الاجتماعية ويتعلم أصول التعامل مع الأفراد الآخرين وكذا الأخذ منهم بما يحقق التغير المرغوب. (بن نبي، 1971، ص53)

2.3 الثورة الثقافية

إن الثورة هي انعكاس للواقع الفكري والاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وهي وليدة ضغوط اجتماعية واقتصادية وفكرية مترابطة، وإلى جانب هذا فالثورة هي فاعلية من نوع جديد تهدف إلى إحداث التغير في المجتمع، والثورة عند (بن نبي)، هي تفكير في التطبيق الذي يؤدي إلى التفكير في البديل، وهو ما يؤكد لزوم وضرورة دراسة المجتمع السابق على الثورة، والإحاطة بكل ما يحمله من التناقضات الاجتماعية التي تؤدي إلى تصورات جديدة. وعلى هذا يقوم الفكر بانتقاد المجتمع السابق، مما يمكنه من إيجاد البديل الثوري، وهذا معناه ضرورة التعرض للمجتمع السابق بالنقد والتصفية (لأن الثورة لا ترتجل، إنها اضطراب طويل يحتوي ما قبل الثورة وأثناءها، وما بعدها، والمراحل الثلاث هذه تجتمع فيه بمجرد إضافة زمنية بل تمثل فيه عضواً وتطوراً تاريخياً مستمراً، وإذا حدث أي خلل في هذا النمو فقد تكون النتيجة زهيدة تخيب الآمال). (بن نبي، 1972، ص120)

والجدير بالذكر هنا أن مالك بن نبي قد اعتبر الإسلام ثورة كبيرة غيرت كل البناءات السياسية والاجتماعية والأخلاقية والثقافية في أصعب الظروف، ويقصد بذلك ظروف المجتمع الجاهلي مؤكداً أن الثورة تسير عليها، كما تضمن فحوى القرارات التي ستمليها عليها الظروف. فالثورة برأيه يجب أن تنطلق من قاعدة أخلاقية معينة (إن الثورة التي لا تستطيع تغيير الإنسان، هي ثورة لم تكن لها قاعدة أخلاقية قوية). وقد نبّه (ابن نبي) إلى نقطة أساسية في العمل الثوري، وهي أن الثورة

من الممكن أن تتحول وتحيد عن مسارها، بل قد تصبح ضد الثورة بطريقة واضحة خفية وهذا أمر يتطلب تتبع حركة الثورة ومراقبتها بالكشف عن أخطائها وتداركها في وقتها.

فالثورة برأيه هي عملية تغيير جوهري، وهذا ما يجعل أفكار الثورة تعبر عن جانب رافض أو سلبى، وهو الفكر النقدي وجانب بناء يتجلى في الفكر التجديدي، مما يتطلب مقارنة الماضي بالمستقبل بما يسمح بالمحافظة على وضعيات سابقة من المجتمع السابق للثورة والتي ما تزال صالحة وربطها بوضعيات متجددة بإضافة عناصر وتصورات جديدة، حيث أن التفكير في التطبيق يحيل إلى التفكير في البديل، وهو ما يطرح بالضرورة دراسة المجتمع السابق على الثورة والحامل للتناقضات الاجتماعية، هذه التناقضات إذا ما وصلت إلى الإشباع تنشئ تصورات جديدة، وبهذا ينقد الفكر المجتمع السابق لتصبح لديه تصورات البديل الثوري، وبتعبير أدق هناك مجتمع سابق لابد من نقده. (النجحي، 1978، ص74) وهذا ما يجعل أي طرح ثقافي في المجتمع المتخلف يتطلب مشروع ثقافة تستدعي ثورة تشمل سائر البيئة مع اعتباره لكل جزئية في الرصيد الثقافي.

وقد ركز مالك ابن نبي على موقع وموقف الإنسان المسلم من كل من الماركسية والليبرالية والرأسمالية في عالم الثقافة، محاولا تخلص هذا الإنسان من الشعور بالخوف منها، ومن وهم حتمية الاختيار بينهما، ذلك أن المنهج الماركسي قدم حلولاً للمجتمعات كما فعل المنهج الليبرالي لكنهما لم يعطيا تصورا كاملا للحالة الاجتماعية التي يريد الإنسان المسلم الخروج من إشكالياتها، لأن جهودهما كانت تعبيراً عن عمل إنساني معين في مجتمع له نوعية مشاكله، المنهجين والقياس عليهما لأن نوعية مشاكلنا تميزنا عن غيرنا، وهو الشيء الذي يجبرنا على خوض تجربة منهجية تقوم أساساً على المعطيات الواقعية للمشكلات النفسية والاجتماعية والتاريخية لمجتمعنا، كما تقوم أيضاً على موقعنا ووضعيتنا اتجاه غيرنا، وهو ما يتطلب الاعتماد على الأفكار الممثلة للمفاهيم الأصلية والأصيلة، لأن الفكرة في منهجية الثورة هي أساس كل نشاط اجتماعي.

وهذا ما يؤكد أن فلسفة الثورة عند مالك بن نبي تقوم في جوهرها على المبدأ القرآني، "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم". والثورات في المجتمع الإسلامي سواء خلال العهد الاستعماري أو بعده لم تهتم للعلم والسبيل الذي يجعل تطورها يسير بدقة لأنها أغفلت أن الثورة تستلزم تخطيطاً علمياً وموضوعياً يحدد مسيرتها.

مع العلم أن (ما قبل الثورة) كانت بمثابة مقدمات ضرورية لإنتاج مجتمع متميز بجسده الواقع الاجتماعي العوبص، والإنتاج الفكري وغيرها، وتعني الثورات بتغيرات في البناءات السياسية والاجتماعية والأخلاقية، والثقافية في المجتمع، وما بعد الثورة هو الحفاظ على مكتسبات الثورة، أي المواصلة في الخط الثوري. وما تجدر الإشارة إليه هو أن الثورة والتغير الاجتماعي يرتكزان بصفة كبيرة على الكلمة لأن هذه الأخيرة لابد أن تكون منبثقة من الواقع الاجتماعي، مما يجعل من الضروري التحكم في الكلمات لأنها تؤثر أفعالنا وأعمالنا في المجتمع. (السمرحاني، د.ت، ص103).

4. دور الثقافة في عملية التغير الاجتماعي:

1.4 الفرد وعملية التغير الاجتماعي:

تبدأ عملية التطور من الإنسان لأنه المخلوق الوحيد القادر على قيادة حركة البناء، وتحقيق قفزات من شأنها أن تمهد لظهور الحضارة. ومن الضروري جدا لكي يتحقق التغير في محيطنا أن يتحقق أولا في أنفسنا وهو ما يؤكد أن الإنسان يجب أن يكون الهدف الأساسي ونقطة البدء في التغيير والبناء «وأن الحل الوحيد منوط بتكوين الفرد الحامل لرسالة في التاريخ. وتكوين الإنسان يتم بتحديد واضح للشخصية الثقافية التي ترعى المنهج التربوي في تغيير الإنسان.

ومالك بن نبي اهتم بتوجيه الإنسان من أجل تحقيق النهضة الحضارية مركزا على جانب النشاط فيه، حيث كان هدفه هو إعداد الإنسان المسلم للانتقال من مرحلة التدهور إلى مرحلة الرقي والتطور. ولأن الثقافة حسب رأيه هي التي تشكل بناء الإنسان وتصبغ شخصيته بصبغة مميزة، وتزوده بطرق التفكير والمعرفة، وتحدد منهجه في العمل، فإن عملية التغير الاجتماعي يجب أن تنطلق من العمل على تغيير الفرد بالدرجة الأولى، وذلك عن طريق التغيير النفسي للظروف المحيطة بالفرد، لأن التغير النفسي هو الشرط الأساسي في كل تغير اجتماعي، ومن هنا كان الواجب العمل على تغيير الوسط الثقافي بإنشاء وسط جديد بحسب ما تقتضيه المرحلة الحضارية، من أجل تغيير الإنسان بصورة تجعله يتماشى مع حركة المجتمع، وذلك التغيير لا يتم إلا عن طريق أفكار فعالة، تمكن هذا الإنسان من إيجاد الإجابة اللازمة على كل تساؤلاته وتزوده بالأدوات المنهجية التي تمكنه من التجاوب معها والاستفادة منها. وذلك يقتضي أن تكون هذه الأفكار الفعالة مترجمة في واقع اجتماعي يجسد طموحات الإنسان، ويشبع حاجاته الروحية والعقلية والجسمية لأن هناك علاقة جدلية بين تغيير الوسط الاجتماعي والوسط الثقافي، حيث أن (كل تغير خارجي في مظهر الحياة، وفي نسق هذا المظهر وفي أشكاله يؤدي حتما إلى تغيير داخلي في نفوسنا)

وهو ما يؤكد قولنا بأن الوسط الثقافي والوسط الاجتماعي يحددان إلى حد كبير درجة نمو الفرد وتقدمه. وابن نبي يذهب إلى أن (حظ الفرد مقدر إلى حد ما قبل مولده، تقدره أوضاع عامة، خارج نطاقه الشخصي أو العائلي، وتكون في نفس الوقت حتمية اجتماعية). وقد اعتمد ابن نبي على الإرادة والرغبة في التغير منطلقا من قوله عز وجل (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وكون الثقافة هي المحيط الفكري الذي يحوط الفرد، فإن ذلك يعني أن هذا الفرد ينطلق في حركته داخل المجتمع في عملية البناء والتجديد من هذا المحيط، ويتحرك بمقتضى ما يمليه عليه، وهو بالتالي لا يستطيع الخروج عما يسود هذا المجتمع من أفكار، وهذا معناه أن طبيعة الأفكار هي التي تحدد نوعية حركة الأفراد داخل المجتمع، فإذا كانت أفكارا فعالة، فإنها بذلك ستدفعهم إلى تحقيق أهدافهم ومن ثمة أهداف المجتمع أما إذا افترقت عنصر الفعالية فإنها ستقتضي على الرغبة في العمل في نفوس أفراد المجتمع، وتجعلهم يميلون إلى الجمود والخمول، وتقبل الوضع الذي يعيشه مجتمعهم بدون ما إبداء رغبة

في تغييره، وفي هذه الحالة سيكون المجتمع ممتلكا للأشياء ، بينما يفقد العنصر الأكثر أهمية، والمتمثل في الأفكار الفعالة.(السويدي، 1991، ص99).

وقد ركز ابن نبي على طريقة العمل التغيري في المجتمع، أو بصورة أكثر دقة على المنهج المتبع في العمل المستهدف من خلاله تحقيق التغير في المجتمع، باعتباره المنهج الأساسي للمعرفة والعلم، حيث اعتبره أداة لتحصيل المعرفة وأساس الإنجاز والنجاح في أي عمل. حيث أكد أن الأعمال التي تأتي عن طريق الفوضى أو الصدفة هي في الأصل مجرد حلول جزئية، قد تؤدي إلى حل شامل للمشكلة، لكن ليس في كل الحالات لأنها تأتي بطريقة منهجية جيدة، وذلك ما يجعلنا نؤكد أن «الطريق غير المنهجي هو أطول الطرق بلا شك، طريق المفاجآت التي تفاجئ العقل التائه»

وحركة الفرد في المجتمع تتم وفق ما تعلمه، وما حصله من أفكار ومعارف واعتقادات، حيث أن سلوك الإنسان في الحياة مرتبط بتفكيره ارتباطا وثيقا، لأن أفعاله ناشئة عن اعتقاداته وأقواله التي هي بدورها ثمرة تفكيره.

وابن نبي تنبه إلى عامل أساسي في عملية التغير الاجتماعي وهو عامل النقد حيث أعطاه موقعا حيويا جدا وأعتبره تطهير جوهري مستمر للنفس والمجتمع من أسباب الضعف والاختلال، وهو بذلك اعتبر عملية النقد ضرورة أساسية في حياة المجتمع خاصة في مرحلة التغير، لأنه بالنقد يتم الكشف عن عوامل الضعف والتأخر وغياب النقد يجعل عملية التغير تسير بسرعة بطيئة أو توقفها تماما وذلك يتطلب العمل على تنمية قدرة الفرد على التكيف الاجتماعي بدمجه في الجماعة، يسمح بخلق الروح الجماعية التي تعد من المقومات الأساسية التي فقدها المجتمع الإسلامي.

وتكون هذه الروح الجماعية تعد شرطا ضروريا لأية حركة تغيير وبناء وكما أنه يؤدي إلى روح النشاط والمتابعة في نفوس الأفراد، مما يجعلهم حيوية في عملية البناء والتغيير إضافة إلى استشعار روح المسؤولية والإحساس بالواجب، وبالتالي القيام به. ويؤكد بن نبي أن أية محاولة تغيير أو بناء ترتبط أساسا بالوضع النفسي والاجتماعي للأفراد. ومن أهم القضايا التي أثارها (بن نبي) فيما يتعلق بالإنسان قضية القابلية للاستعمار حيث يؤكد منذ البداية أن الغزو الاستعماري يبنّي أساسا على ما تتضمنه نفسية الشعوب بصفة عامة من ميل نحو السهولة والأشياء السهلة، ومن مظاهر هذا الميل أخذ هذه الشعوب بالأفكار الجاهزة دون محاولة التدخل في تحديدها، أو تنقيتها مما هو غير مناسب، حيث نجد أن الفرد المسلم على سبيل المثال لا يتجاوز في أخذه بالأفكار المتميزة عن غيره عملية التقليد والمحاكاة، دون أخذه في الاعتبار ما يتناسب مع طبيعته وطبيعة مجتمعه.

وما أسماه ابن نبي بالقابلية للاستعمار يعد في نظره السبب الرئيسي في التعرض للاستعمار، وقد ذهب إلى تأكيد أنه لكي نتخلص من الاستعمار يجب أن نتخلص من القابلية للاستعمار.

وقد صار من الضروري العمل على تحرير إنسان العالم الثالث على العموم والإنسان المسلم على الخصوص من الاستسلام للغزو الاستعماري بمختلف أشكاله، وذلك بتدريب هذا الإنسان على استخدام الوسائل والقدرات المتوفرة لديه، حتى يتحصن من المستعمر الذي يستهدف إفقاده الفعالية والرغبة في التقدم والتطور. لكي نتحرر من أثر الاستعمار يجب أن نتحرر أولاً من سببه وهو القابلية للاستعمار فكون المسلم غير حائز على جميع الوسائل التي يريدها لتنمية شخصيته، وتحقيق مواهبه، ذلك هو الاستعمار، وأما ألا يفكر المسلم في استخدام ما تحت يده من وسائل استخدام مؤثراً، وفي بذل أقصى الجهد ليرفع من مستوى حياته، حتى بالوسائل العارضة، وأما ألا يستخدم وقته في هذا السبيل، فيستسلم لحظة افتقاره وتحويله كما هو مهملاً، يكفل نجاح الفنية الاستعمارية، فتلك هي القابلية للاستعمار. والتغير الحقيقي في المجتمع الإسلامي، يبدأ من تحرير الإنسان المسلم من عادة النقص والانبهار بمظاهر ثقافة الغرب، وبتحريره من الترسبات الوراثية في مجال التواكل، وبإعادة اللحمة بينه وبين قناعاته وعقيدته، وسلوكه، وعمله، وهنا يطرح (بن نبي) وجوب تصفية واقتلاع القابلية للاستعمار من داخل الإنسان المسلم، حتى نسمح بإطلاق طاقاته وإمكاناته لتصفية عالمه الخارجي، لأن إدراكه للأمور سوف يخول له رؤية الأشياء من حوله بوضوح، وبالتالي التعامل معها كما يجب، "قنوة لا تستطيع بناء وضع جديد، والحفاظ على مكتسباتها، هي ثورة ضعيفة إلا إذا كان أثرها في تصفية الاستعمار فعالاً في تصفية الإنسان من القابلية للاستعمار". (عبادة، 2014، ص167).

2.4 توجيه الثقافة:

إن الثقافة والشخصية الاجتماعية ليستا من الأشياء الإستراتيجية التي تقبل التغير، بل تقبلان التغير، والكثير من إمكانات التحول، كلما تهيأت الظروف إلى ذلك. وهذه النقطة بالذات أكدها (بن نبي) في مجمل كتاباته، خاصة المتعلقة بجهوده التي استهدفت إثارة الوعي والإدراك بما يمهد لعملية التغير الثقافي، وبالتالي التغير الاجتماعي. ونركز على نقطة جوهرية فيما يخص مشكلة الثقافة في المجتمع المتخلف، هي أن مشكلة الثقافة في مجتمع كهذا ليست بمشكلة تعريف كما هو الحال في البلدان الرأسمالية الغربية أو الاشتراكية الماركسية، ذلك أن مشكلة العالم المتخلف بما فيه العالم العربي والإسلامي -كما سبق القول- هي مشكلة إيجاد واقع ثقافي مطلوب، وهذا يحتم ضرورة معالجة تربوية للثقافة حتى تصبح هذه الأخيرة نظرية في السلوك أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة. وذلك حتى يصبح من الممكن أيضاً (تحديد مضمونها القابل لأن يدخله التعليم في سلوك الفرد، وأسلوب الحياة في المجتمع).

ومن أجل السماح للثقافة بممارسة دورها في عملية التغير الاجتماعي، وإعادة البناء يرى (بن نبي) أن الثقافة كنظرية للتغيير، لا بد أن تصاغ صياغة تربوية، مبنية على عنصر الأخلاق لتكوين الصلات والعلاقات الاجتماعية، وعلى عنصر الجمال لتكوين الذوق العام، وعلى عنصر المنطق العملي لتحديد أشكال النشاط العام، وأخيراً على عنصر الفن التطبيقي الموائم لكل نوع من أنواع المجتمع أو الصناعة

وذلك يعني أن الثقافة يجب أن تكون تركيباً متناسقاً من الأخلاق والجمال والمنطق العملي والصناعي، وإيجاد مثل هذه الثقافة يعني بث السلوك الفعال، وخلق الشروط التي تهيئ المجتمع لمواجهة التخلف، وإحداث التغير الاجتماعي. (بن نبي، 1988، ص56)

وكون المجتمع الإسلامي يعيش وضعا يفتقد فيه الثقافة المؤهلة لإحداث تغير فإن ذلك يعكس سلبية الواقع الثقافي، ويقتضي ضرورة التصفية الثقافية، وذلك بالمعالجة بغية فهم الثقافة وتحقيقها بصورة تربوية علمية وعملية. الشيء الذي يتطلب حسب (بن نبي) -العمل على إحداث التغير في الفرد والمجتمع بما يحقق نهضة هذا المجتمع، وذلك عن طريق توجيه ثقافة في هذا المجتمع ما يكفل إحداث التغير المراد في إطار من الأخلاق والجمال والعمل.

3.4 التوجيه الأخلاقي للثقافة

يطرح فيها بأن الفرد بطبيعته ميال إلى جماعته كاستجابة أولية وطبيعية لما يحققه له هذا الميل من حاجات ومنافع، وهذا الميل والرغبة في الانتماء إلى الجماعة يحقق تماسكاً اجتماعياً فيما بين الأفراد والمجتمع.

وبن نبي يعتبر هذا الميل أخلاقية أولية وهامة في حياة المجتمع، إذ تحافظ على تماسك المجتمع وتدعم استمراره وتطوره، لذلك فهو يؤكد أن القيم الأخلاقية على المستوى الاجتماعي تلعب دوراً هاماً في قيام المجتمع وتطوره. وهذا ما جعل بن نبي يعتبر الأخلاق مقوماً أساسياً في المشروع الثقافي حيث يقول "إن بناء شخصية الفرد لا يتحقق إلا بواسطة جملة من القيم الأخلاقية، وبمستوى فعالية المجتمعات، فبقدر ما يزيد تلك الفعالية في المجتمع يكون لها تأثير في الأخلاق بالزيادة أو بالنقص، فالأخلاق شرط لتنظيم العلاقات الاجتماعية بما يلائم المصلحة العامة.

والثقافة بما تتضمنه من قيم أخلاقية، ملزمة بأن تبعث داخل الفرد الإرادة التي هي أساس عملية التغير الاجتماعي.

بالمقابل نجد أن أي عمل لمحاربة القيم الأخلاقية وتشويهها من شأنه أن ينقص من قيمة الفرد، ويجعله يركن إلى الكسل، والخمول، وقد بدى ذلك واضحاً في السياسة الاستعمارية التي سعت إلى إضعاف البناء الأخلاقي للأفراد، بغية إبعادهم عما يدور حولهم، وذلك يعكس إدراك المستعمر لقيمة الأخلاق في حياة الأفراد، وبالتالي في حياة مجتمعاتهم. فلأخلاق إضافة إلى ما سبق، دور كبير في خلق اللحمة الضرورية للتقدم الاجتماعي بين أبناء المجتمع. ويؤكد (بن نبي) أن العلاقة الجدلية بين الإطار الثقافي العام المربي، وعملية توفير السلوك الخلقي الاجتماعي هي أن تؤدي ثمارها التطورية في المجتمع.

معنى هذا أن الإطار الثقافي العام لابد أن يتضمن قيماً وقواعد من مناخ ثقافي تكون هي الأساس في التعبير، لأن أي فكرة لا بد لها من مناخ ثقافي أخلاقي حتى تؤدي دورها بفاعلية، وبالتالي فإن أي حركة تغييرية أو ثورة لا تستطيع تغيير الإنسان، هي إذن ثورة لم تكن لها قاعدة أخلاقية قوية.

ومن هنا تبدو لنا أهمية تضمن الثقافة للأخلاق، بوصف هذه الأخيرة عامل ربط بين الأفراد، وعامل توجيه للأعمال التي يقومون بها، وهذا لمقتضى الحاجة الاجتماعية، وحتى لا تتجرد الأعمال من المدلول الأخلاقي وحتى لا تترك انعكاسات سلبية، وسلوكيات خطيرة ضارة اجتماعيا وإنسانيا.

4.4 التوجيه الجمالي للثقافة:

إن القيمة الجمالية يجب أن ينظر إليها خاصة من الوجهة التربوية، فهي تسهم في إيجاد نموذج إنشائي متميز، يهب الحياة نسقا معينا، حيث أن ما يمثله الفرد في ذاتيته مما يحيط به في المجالين الطبيعي والاجتماعي من أصوات وألوان وحركات، ومن أشكال للحياة يؤثر على ما يقوم به من أعمال، لذلك يعد الانفعال الجمالي بالأشياء من الأمور التي تمنح حركة العمل دفعا مستمرا، وتحدث التغيرات الإيجابية العديدة في السلوك والحياة.

ولذلك يجب أن تصطبغ كل وجوه الحياة بالجانب الجمالي حتى لا يسمح للجوانب القبيحة أن تتعكس سلبا في النفوس، لأنها انتكاس وتخلف للثقافة، لأنه متى انطوت الثقافة في مجتمع ما على صورة قبيحة، فإن تلك الصور تظهر على أفكاره وأعماله، وهذا سيكون له بالضرورة تأثير على الفكر والسلوك في المجتمع، كما أن غياب القيمة الجمالية في الثقافة معناه إنقاص من الفعالية لأن المضمون الجمالي يؤثر في بناء المجتمع تماما كما يؤثر في بناء الفرد وبقدر ما كانت الثقافة متطورة نجدها مترعة بالبذور الجمالية التي تنمو في وجدان الناس وسلوكياتهم، لتصبح قانونا عاما تخضع له مختلف أوجه النشاط الاجتماعي.

وهذا يحتم على الثقافة كي تكون عاملا للتغيير أن تتضمن قيم الجمال، وتجدر الإشارة إلى أن المبدأ الأخلاقي، والمبدأ الجمالي عنصران أساسيان في أية ثقافة، لكن تقديم أحد المبدئين على الثاني في سلم القيم الثقافية يختلف من ثقافة إلى أخرى، فكما هو الحال مثلا في الثقافة الإسلامية نجد أنها تقوم أساسا على الدوافع الأخلاقية، بينما في الثقافة الغربية نجد أن الأساس الجمالي متقدم عن الأساس الأخلاقي، وفي كلتا الثقافتين نجد أن المبدأ الثاني يأتي تابعا للمبدأ الأول. (العبد، 2006، ص202)

5.4 التوجيه العملي للثقافة:

أكد ابن نبي أن الثقافة متى افترقت المنطق العملي فإن ذلك على عجزها في تبني الأفكار، والذي يعكس بدوره ضعفا في الإرادة.

فالتربية على المنطق العملي تستوجب وقفا أمام المشكلات بصورة بعيدة عن الصياغة السهلة أو المستحيلة، بل يجب أن تصاغ في إطار من الموضوعية.

ونحن أوجع ما نكون إلى هذا المنطق العملي في حياتنا لأن العقل المجرد متوافر في بلادنا، غير أن العقل التطبيقي الذي يتكون في جوهره من الإرادة والانتباه شيء يكاد يكون معدوما، وهذا يؤكد مدى حاجتنا إلى تنمية المنطق العملي في ذهن الفرد، سواء عن طريق المدرسة أو غيرها من الوسائط التربوية التي تغرس في النفس الفعالية والسلوك العملي، يقول مالك بن نبي "يتقرر المنطق العملي كحاجة عاجلة

لعملية نهضة تريد أن تحدث تغييرا في المحيط حيث تشكل عبقريّة الحضارة، وحيث يتطور الإنسان"، معنى هذا أن كل ثقافة يجب أن تكون متضمنة للمنطق العملي إذا كانت في مجتمع يسعى إلى التغيير وإعادة البناء. (بن نبي، 2002، ص 63).

6.4 التوجيه الصناعي للثقافة:

إن التغيير الاجتماعي في المجتمع يتحدد بجملة الظروف المحيطة به أو بصورة أدق "متوقف على المناخات والأسس الثقافية"، وبن نبي يعتقد بأن التطور العملي في المجتمع لا يتوقف على مجرد القدرة على اكتساب العلم كمعلومات وأساليب، بل لابد من توافر المناخ الثقافي العام الذي يساعد على بث الروح العملية في نفوس الأفراد، وتحرك شعورهم لتقبل العلم وتبليغه لهم في آن واحد، لأن تطور العلم يكون بموجب الظروف النفسية والاجتماعية التي تكتنف المجتمع في وقت من الأوقات. (عاطف، 2007، ص 123)

وتتمية التفكير العقلي، وتوفير فرص الابتكار العلمي والصناعي يتوقفان على المناخ الثقافي، وذلك ما يجعل إيجاد المناخ الثقافي الذي يوجه نحو التعليم المهني والصناعي مطلباً أساسياً لكونه عملاً ضرورياً في عملية التغيير، ففي ضوء المناخ الثقافي تبرز فعالية العلم.

خلاصة:

إن الأهمية التي أعطاها مالك بن نبي للثقافة جعلته يذهب إلى اعتبارها مصدر كل ما يحدث من تغيرات في المجتمع وفي المسار الحضاري للإنسانية مما دفعه إلى الاقتناع بأنها المدخل الضروري لأي عملية تغيير أو بناء. وعملية التغيير الاجتماعي تتطلب الإحاطة بطبيعة الوضع الذي يعيشه المجتمع ولذلك عند إثارته لمسألة التغيير في المجتمع الإسلامي وإعادة بنائه لم يغفل تحديد الوضعية التي توجد عليها ثقافة هذا المجتمع، فعمد إلى الإحاطة بكل جوانبها وتقصى المظاهر السلبية فيها حتى يتمكن من وضع الخطة العملية الدقيقة لعملية التغيير وفق ما يتطلبه الموقف للخروج من الوضعية السابقة. من ثورة ثقافية وتصميم ثقافي، وموقع الفرد منها بحكم كونه هدفاً للتغيير ولكونه أيضاً المحرك الأساسي لعملية التغيير الاجتماعي. وبن نبي يرى أن السبيل إلى تحقيق التغيير الاجتماعي المرغوب يكمن في توجيه الثقافة توجيهاً يسمح لها بممارسة دورها في عملية التغيير الاجتماعي وإعادة البناء، انطلاقاً من أن الثقافة لابد لها من أن تصاغ صياغة تربية وتكون تركيبة متكاملة من الأخلاق والجمال والمنطق العملي والفن الصناعي. (العقبي، 2005، ص 44)

وهذا ما يجعلنا نخلص إلى أن الثقافة هي المدخل الرئيسي لعملية التغيير الاجتماعي لأنها مصدر كل ما يحدث في المجتمع من تغيرات خلال المسار الحضاري، وأية عملية تغيير مهما كانت درجتها تتطلب الإحاطة بطبيعة الوضع العام الذي يوجد عليه المجتمع. والفرد هو القوة الأساسية في المجتمع، الشيء الذي يجعله المحرك الأولي للتغيير الاجتماعي. وتحقيق التغيير الاجتماعي المرغوب مرهون بتوجيه الثقافة توجيهاً صحيحاً. (الفرحان، 2014، ص 163)

قائمة المراجع:

- سعدي، حمودة. (1985) مكانة الأفكار في الفلسفة الاجتماعية عند مالك بن نبي، (رسالة ماجستير. معهد الفلسفة بجامعة الجزائر.
- برغوت، الطيب. (1993). موقع المسألة الثقافية من استراتيجية التجديد الحضاري عند مالك بن نبي، الجزائر، مدار البنايع للنشر والإعلام.
- القرشي، علي. (1989). التغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، منظور تربوي لقضايا التغيير في المجتمع المسلم المعاصر، الزهراء للإعلام العربي.
- بدوي، عبد الرحمن. (1987). مناهج البحث العلمي. الكويت: وكالة المطبوعات.
- الجندي، أنور. (1965). الفكر والثقافة والمعاصرة في شمال أفريقيا. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر
- الزعبي، محمد أحمد. (1984). التغيير الاجتماعي البرجوازي وعلم الاجتماع الاشتراكي. بيروت. دار الطليعة للطباعة والنشر.
- بن نبي، مالك (1971). فكرة الإفريقية الآسيوية في ضوء مؤتمر باندونغ. بيروت: دار الفكر.
- بن نبي مالك. (1972) في مهبط المعركة، ارهاصات الثورة. بيروت: مكتبة المتنبى ودار الفكر
- النجحي، محمد نبيب. (1978) الأسس الاجتماعية للتربية. القاهرة: مكتبة الأنجلو مصرية
- السمرحاني، أسعد. (د.ت) مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا. بيروت: دار النفائس.
- السويدي، محمد. (1991). مفاهيم علم الاجتماع الثقافي ومصطلحاته. الجزائر: الدار التونسية للنشر والتوزيع.
- عبادة، عبد اللطيف. (2014) صفحات مشرقة من فكر مالك بن نبي. الجزائر: دار بن مرابط للنشر.
- بن نبي، مالك. (1988). الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دمشق: دار الفكر.
- العبد، محمد. (2006). مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي، دمشق: دار القلم.
- بن نبي، مالك. (2002) تأملات، دمشق: دار الفكر.
- عاطف، محمد. (2007). معوقات النهضة وطرق علاجها عند مالك بن نبي. مذكرة ماجستير. جامعة الجزائر.
- العقبي، حسن موسى محمد. (2005). مالك بن نبي وموقفه من القضايا الفكرية المعاصرة. رسالة ماجستير الجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين.
- جلوب الفرخان، محمد. (2014) الخطاب النهضوي في فكر مالك بن نبي، الجزائر: دار بن مرابط للنشر.